الأزمة البربرية لسنة 1949 في تقرير سري للبوليس الفرنسي

The Berber Crisis of 1949 in a Secret Report of the French Police

د.بومزو عز الدين

جامعة قسنطينة2 عبد الحميد مهري،

azeddine.boumezzou@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2021/04/22 تاريخ القبول: 2021/06/07

ملخص:

يتناول المقال الموسوم "الأزمة البربرية لسنة 1949 في تقرير سري للبوليس الفرنسي" تحليل وثيقة تاريخية موجودة في أرشيف اكس أون بروفانس، في هذا المقال نحاول الإجابة على مسألتين: الأولى: تتعلق بالمشكلة البربرية كمشكلة ممتدة في الزمن، بدأت في الماضي واستمرت بمظاهر متعددة، الثانية: تتعلق بدراسة هذه الأزمة من ناحية أنها أزمة مؤقتة تعرض لها حزب الشعب الجزائري -حركة انتصار الحريات الديمقراطية PPA-MTLD- في نهاية الأربعينيات وأحدثت تفاعلات على الساحة السياسية وكانت محل متابعة من السلطات الاستعمارية الفرنسية التي حاولت الإحاطة بأسبابها ومظاهرها ونتائجها، وبصورة عامة الوثيقة نص تاريخي هام عن مرحلة عاشتها الحركة الوطنية عامة والاتجاه الاستقلالي منها خاصة.

الكلمات المفتاحية: الأزمة البربرية؛ حزب الشعب؛ حركة انتصار الحريات الديمقراطية؛ باريس؛ الجزائر.

Summary :

The article "The Berber Crisis of 1949 in a Secret Report of the French Police" examines the analysis of a historical document in the Archives of Ax-en-Provence.

In this article we try to answer two issues:

First, it relates to the berber problem as an extended problem in time, which began in the past and continued in multiple manifestations.

Second, it relates to the study of this crisis in terms of the interim crisis suffered by the Algerian People's Party, the Movement for the Victory of Democratic Freedoms , at the end of the 1940s, which created interactions on the political scene and was followed up by the French colonial authorities, who tried to inform their causes, manifestations and consequences, and in general the document is an

important historical text on the stage of the national movement in general and the direction of independence from it in particular.
Keywords: The Berber Crisis ; The People's Party; The Movement for the Victory of Democratic Freedoms; Paris; Algiers.

المؤلف المرسل: د.بومزو عز الدين، الإيميل: azeddine.boumezzou@yahoo.com

مقدمة:

بداية يمكن أن نضع مشكلة الأزمة البربرية في سياقها الاصطلاحي الذي يمكن أن يؤدي وظيفته في هذا المقال، على أساس أنه يجب التمييز بين مصطلح الأزمة ومصطلح المشكلة، من حيث أن الأزمة تعبّر عن موقف سلبي مؤقت والمشكلة تعبّر عن موقف سلبي دائم ونحن في هذا المقام سنقف موقفا وسطًا، ذلك لأننا نستخدم مصطلح الأزمة البربرية بسبب وجود هذا المصطلح في الكتب والوثائق المتعلقة به ومن جهة أخرى بسبب أن هذا المصطلح تم تداوله في حقبة كان الكثير من الوطنيين ينتظرون زواله ولذلك كان من المنطقي استخدام كلمة الأزمة على أساس أنها زائلة وأن مصطلح المشكلة البربرية، إذا كان يدل على الصفة الدائمة لهذا الموقف فإننا لا ننكر ذلك، بحكم استمرارية الفكرة البربرية بأشكال ومظاهر في سياق آخر.

ولكي نضع هذه المشكلة في السياق المعرفي لهذا المقال وجب أن ننطلق من الوثيقة التي نحن بصدد تحليلها وننظر في حيثيات الفكرة البربرية كأزمة وكمشكلة على السواء، بداية من بعض التفاعلات التاريخية والسياسية التي شكّلتها.

عانى حزب الشعب الجزائري -حركة انتصار الحريات الديمقراطية- من أزمات عديدة خلال تاريخه النضالي، منها أزمة داخلية كادت تعصف بوحدته وأوشكت على تشتيته.

ظهرت هذه الأزمة بعد الحرب العالمية الثانية وانفجرت سنة 1949.
ركزت تقارير الجهات الأمنية الفرنسية مجهوداتها على مراقبة هذه الأزمة وعملت جاهدة على رصدها لفهمها. وبناءً على هذا يمكن أن نحدد المشكلة المطروحة في هذا المقال، حيث تتعلق المشكلة بوجه عام بالأزمة البربرية، وبوجه خاص تتعلق بسياق الأزمة البربرية، فهل يمكن أن نعتبرها محصلة لنشاط استعماري ترجع جذوره إلى القرن 19م؟ أم أنه يمكن اعتبارها مشكلة سياسية داخل حزب الشعب لا علاقة لها بالاستعمار؟
وهي المشكلة التي يمكن أن تتفرع إلى التساؤلات الآتية:
- ما هي مصادر التعريف بالأزمة البربرية؟
- ما المقصود بالأزمة البربرية؟ وما هي أسبابها؟
- ما هي مظاهرها ونتائجها؟

1- مصادر الدراسة:

أ- الوثيقة الاستخباراتية:

الوثيقة التي بين أيدينا هي عبارة عن تقرير صادر بتاريخ 6 أوت 1954 عن شرطة الاستعلامات لناحية الجزائر، تحمل رقم PRG 4301 موجه إلى السيد الحاكم العام لعمالة الجزائر وإلى مدير الأمن العام، وقّعه المحافظ الرئيسي ورئيس شرطة الاستعلامات لمنطقة الجزائر السيد كارسيناك Carcenac. جاء التقرير في خمس ورقات بيضاء اللون، مكتوبة بالآلة الراقنة وبخط واضح تحت عنوان: "مذكرة استخباراتية"، الموضوع: البربرية "Note de renseignement: objet berbérisme" تكمن أهمية هذا التقرير في أنه تلخيص وخلاصة لسلسلة تقارير أمنية بدأت في شهر أوت من سنة 1949، وقد أشار إليها صاحب التقرير.
لقد اعتمدنا على النسخة الأصلية الموجودة على مستوى الأرشيف الفرنسي لما وراء البحار اكس أون بروفانس "Archives nationales

outre-mer Aix en Provence" حيث أمكننا الإطلاع عليه وتصوير نسخة منه في منتصف شهر ديسمبر 2011.

من المعلوم أن السلطات الفرنسية كانت تتابع باهتمام شديد أزمة حزب الشعب -حركة انتصار الحريات الديمقراطية- من خلال أجهزتها الاستخباراتية وهذا ما سنتناوله.

ب- المنطلقات التاريخية للأزمة البربرية:

تعود بدايات هذه الأزمة من الناحية الزمنية إلى فترة الإحتلال الفرنسي، و تعود من الناحية الفعلية إلى توظيف المحتل[1] لمشكلة التمييز بين الأمازيغ و العرب (الأزمة البربرية) التي خلقها هو في مشروع تحطيم الكيان الجزائري، حيث بدأ هذا الأمر مع بعض العسكريين أمثال الجنرال دوفيفي Duvivier[2] سنة 1841 والعقيد دوماس Daumas[3] في 1844، وملاحظات أنتروبولوجية للنقيب فابار Fabar سنة 1847، تضمنت وصفًا للعنصر القبائلي، وأنه يعود جزئيا إلى أصل جرماني[4].

كان هؤلاء الضباط ضمن المكاتب العربية، شكّلوا نخبة من الباحثين في الجانب العلمي وأعطيت لهم توجيهات للاهتمام بكل القضايا التاريخية، الجغرافية والإثنولوجية[5].

استعملوا مختلف العلوم الإنسانية والاجتماعية ومنها التاريخ الذي استخدموه استخداما وظيفيا وإيديولوجيا باختيار قضايا معينة، فوظفوه لتأجيج الصراع بين البربر والعرب، وبين القبائل عن طريق زرع الفتنة العرقية[6]، كما قاموا باختيار الروايات التاريخية وتفسير النصوص تفسيرا انتقائيا وتحيل الوقائع بما يتناسب مع أهوائهم[7]، بهدف إثارة العنصريات بين العرب والبربر[8]، فاختاروا حادثة الكاهنة وحسان وكسيلة وعقبة بن نافع، وأصبح هذا الاختيار قاعدة في الكتابات التاريخية الفرنسية[9].

استعملت هذه الكتابات لاحقا لتثبيت الاحتلال، تحت ما عرف بالأسطورة البربرية لمحاربة مشروع نابليون الثالث: المملكة العربية، وكان من أشد أنصارها وارنييه، الذي حاول التفرقة بين العرب والقبائل بالاعتماد على التاريخ، إذ رأى أن البربر ينحدرون من الرومان المسيحيين القدماء وأن مستقبل الجزائر لا يكون بالتعايش بين العرب والقبائل وبين الإسلام والمسيحية بل للتحالف الفرنسي القبائلي[10].

استمرت الأسطورة البربرية في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر وتزامنت مع نزعة بربرية محلية في عدة مناطق من بلاد زواوة تأثرت بظهور الأفكار القومية في أوربا وفي أماكن مختلفة من العالم[11]، غير أن الأسطورة البربرية في هذه الفترة عكست الأفكار نفسها الجاهزة مثل: "أن العرب كسالى، خاملون، بطيئون، متحجرون ومتعصبون، أما البربري فإنه عامل جدي، يملك روح المبادرة، والحس العملي وهو حيوي مرح واقتصادي نزيه، محب للإطلاع، قليل التدين"[12].

إن هذه العبارات القاسية في حق العرب توافق الكتابات الاستعمارية في النصف الثاني في القرن التاسع عشر حيث اعتبرت الجزائر الأرض الموعودة للدراسات الإثنوغرافية والأنثروبولوجية وما تضمنته من وصف ودراسة للعرب يعتبر نقيضا ما كتب عن البربر، فأعطت أفضلية للعرق البربري وأنه لا يجب أن يعامل كالعربي[13]، كما أدخل الزواج المختلط بين الأوربيين والقبائل ضمن مشروع الأسطورة البربرية باعتبار أن القبائل ينحدرون من الغاليين الرومان ومن البربر المسيحيين في الفترة الرومانية والوندالية[14].

إذن فالنزعة البربرية ظاهرة أنشأها الاستعمار الفرنسي ليتخذها طريقا لتحقيق شعاره فرق تسد من خلال إشعال نيران التفرقة وتعميق التناحر بين مجموعتين من الجزائريين، الأولى عربية والثانية قبائلية.

2- التعريف بالأزمة البربرية:

سميت بالأزمة البربرية وبالأزمة البربرية المادية[15]، سميت بالأزمة البربرية لأن الذين قاموا بها ينتمون إلى مجال جغرافي معين وهو بلاد القبائل، أي أن هذه التسمية تفيد مفهوما عرقيا[16].

أما تسميتها بالأزمة البربرية المادية لأن دعاة البربرية كانوا معجبين بالأفكار الماركسية وبتركيبة الاتحاد السوفياتي ككل، وتعامله مع جمهورياته، إذ أن كل شعب من شعوبها، وكل جماعة إثنية كانت تتمتع بحريات خاصة بها، كاستعمال لغتها الخاصة وحرية تسيير شؤونها الخاصة في إطار ما سمي بجمهوريات الاتحاد السوفياتي (أذربجان، أوزبكستان...)[17]. إضافة إلى ذلك فقد تبنى الحزب الشيوعي الجزائري مفهوم الجزائر جزائرية التي تتضمن أن الأمة الجزائرية في طور التكوين بفضل تعايش عدد من الجماعات العرقية فوق الأرض الجزائرية من بينها: العرب و الأمازيغ واليهود والإيطاليون والأسبان، والفرنسيون والمالطيون[18].

تأثر دعاة البربرية بهذه الأفكار وألحوا على الهوية البربرية، منكرين الإسهام الحضاري العربي الإسلامي[19]، ومعتبرين العرب غزاة ومستعمرين جاءوا إلى شمال إفريقيا كغيرهم من الأجانب الذين توافدوا على المنطقة، كالرومان والوندال والبيزنطيين والأتراك والفرنسيين[20].

3- أسبابها:

بدأ التقرير إلى الإشارة إلى شخص كان قد أرسل في شهر أوت من سنة 1949 تقريرا تحت رقم 4917، استعرض فيه جملة من الأسباب التي أدت إلى نشوب هذه الأزمة منها: هجرة العمال القبائل إلى فرنسا بعد الحرب العالمية الثانية[21]، مما أدى إلى اختراق حزب الشعب الجزائري -حركة انتصار الحريات الديمقراطية- من قبل عناصر بربرية لم تعد تخضع لوصاية العناصر العربية[22].

مما لاشك فيه، شهدت الهجرة العمالية الجزائرية عموما، والقبائلية بالخصوص نموا مطردا بعد الحرب العالمية الثانية، بدأت بـ577 دخولا إلى فرنسا، ثم قفز الرقم إلى 34929 دخولا سنة 1946، ثم زاد بنسبة كبيرة بعد تسريح المساجين الألمان الذي قدر عددهم بـ500.000 سجين، فارتفع العدد إلى 80874 سنة 1948 وإلى 83447 سنة 1949، حتى وصل إلى 89405 سنة 1950[23].

كان احتياج فرنسا إلى اليد العاملة الجزائرية كبيرا بعد الحرب العالمية الثانية، لهذا سمح بحرية التنقل منذ 1946 ثم صدور قانون 20 سبتمبر 1947، نصت المادة 2 منه على المساواة الفعلية بين كل المواطنين الجزائريين وبين كل الرعايا الذين يحملون الجنسية الفرنسية من المقاطعات الجزائرية[24]. انعكس كل هذا على عدد الجزائريين بفرنسا، فحسب إحصاء سنة 1954، قدر عدد الجزائريين المتواجدين بفرنسا بـ212000 أي أكثر بـ10 مرات مما كان الأمر عليه في سنة 1946[25].

لم تكن هذه الضرورة الديموغرافية، هي الهجرة في حد ذاتها سببا مباشرا للأزمة، بل كانت ناقلا فقط للأزمة إلى فرنسا بسبب العدد الكبير للمهاجرين القبائل إليها.

فقد بدأت بوادر الأزمة في الظهور بالجزائر منذ مجازر ماي 1945 وما شهدته من قمع وقتئذ، كما أدى صدور أمر بالتمرد ثم أمر مضاد من قبل حزب الشعب[26] إلى حدوث استياء كبير بين الشباب المنحدرين من منطقة القبائل، ففي يوم 10 ماي 1945 تم إعطاء أوامر بالدخول في انتفاضة عارمة أثناء اجتماع ضم مسئولي مناطق حزب الشعب الجزائري في كافة بلاد القبائل وتم تحديد موعدا لانتفاضة يوم 23 ماي[27] وعلى الساعة الرابعة من مساء 22 ماي وصل أمرا مضادا موجها لكل المنطقة، ولم يكن الوقت كافيا لتبليغ الأمر الجديد[28].

نتيجة لهذا تعرضت المنطقة لاعتقالات وتنكيل وقمع[29]، فساد الاعتقاد بين السكان بأن هناك استهتارا من قيادة حزب الشعب بمصير سكان القبائل، وأدى هذا إلى رفض تنفيذ أوامر قتل مترشحين للانتخابات، صدرت من قيادة الحزب خاصة حينما علموا أن الأوامر بقتل مترشحين اقتصرت على منطقتهم دون غيرها[30].ازداد الأمر سوءا بعد فوز حركة انتصار الحريات الديمقراطية بانتخابات سنة 1947، تبعها قيام ناجلان Nagealan بعمليات تأديبية في منطقة القبائل، كل هذا جعله آيت أحمد قاعدة اعتمد عليها في التقرير الذي أرسله إلى قيادة الحزب لمعارضة سياسة الحزب التي وصفت بالعربية الإسلامية[31].

غير أن هناك من أرجع سبب هذه الأزمة إلى مؤامرة خطط لها ضد حزب الشعب الجزائري -حركة انتصار الحريات الديمقراطية- بإدخال عناصر مدسوسة وصلت إلى قيادة الحزب، فقد ذكر بن خدة أنه تم تسهيل التحاق محند علي يحي المدعو رشيد بحزب الشعب -حركة الحريات الديمقراطية- بوساطة بناي واعلي عندما التقى بالجزائر مع أحمد بودة رئيس القسمة السياسية للحزب على المستوى الوطني، وتحدث معه عن وضعية أحد الطلاب الجزائريين الذي كان حسب زعمه مطلوبا لدى الشرطة الفرنسية، وكان يحتاج إلى تزكية من قيادة الحزب[32] ويؤكد آيت أحمد في مذكراته هذا، وأن واعلي بناي أرسله إلى فرنسا سنة 1984 وأنه وجد صعوبة في إدماجه بهياكل الحزب بسبب أنه ابن أخ القايد، كما أن أبوه يحمل الجنسية الفرنسية[33]، كما أشار التقرير الاستخباري إلى دور محند علي يحي في هذه الأزمة[34].

4- مظاهرها:

تعتبر الأزمة البربرية المظهر الثاني من الأزمة التي عاشها حزب الشعب الجزائري بعد المظهر الأول الذي تمثل في أزمة قيادة الحزب الذي عرف

اختلالا في تسييره بظهور خلافات حول التوجهات، وهذا ما أشار إليه التقرير إثر مغادرة لمين دباغين بحزب الشعب الجزائري –حركة انتصار البحريات الديمقراطية- مبينا انتماء لمين دباغين إلى الجناح المتطرف منذ 1942 ويطلق عليه كذلك جناح المتصلبين[35].ومنذ 1946 ظهر داخل حزب الشعب الجزائري جناحين: الأول بزعامة دباغين والثاني بزعامة مصالي الحاج[36]، فكان دباغين يتزعم التيار الرديكالي، أما تيار مصالي فأطلق عليه تسمية تيار الشرعيين[37].

أنتج هذا الانقسام نقاشا سياسيا برز بعد انتخابات 1948 حول عدم جدوى المشاركة في البرلمان الفرنسي[38]، وكان حزب الشعب الجزائري قد شهد انقسامات قبل ذلك حين قام عمار العميش وسي الجيلالي سنة 1947 بمحاولة إنشاء حزب وطني في بلاد القبائل منشق عن حزب الشعب[39].

لقد تم إعطاء الأزمة البربرية التي هي في جوهرها سياسية بعدًا ثقافيا لغويا حين نظر إلى تحديد الأمة الجزائرية حصرا في اللغة العربية والدين الإسلامي على أنه مبالغ فيه[40]، وأن الجزائر ليست عربية فقط، لذا فالبربر لهم الحق في إسماع صوتهم في المرتبة نفسها مع العرب[41]. وكان إدخال البعد العربي الإسلامي على الهوية الوطنية من قبل مصالي الحاج قد جوبه بفكرة الجزائر جزائرية[42]، كما كانت دعوات الحزب للارتباط بالجامعة العربية وتركيزه في أدبياته على فترة ما بعد الفتح الإسلامي دون غيرها من الفترات التاريخية التي مرت بها الأمة الجزائرية محل نقد شديد.

اتسعت الأزمة بعد اعتراض محند علي يحي على فتح اكتتاب من أجل فلسطين، ثم تطور هذا الاعتراض إلى كل ما هو عربي[43]، وكانت هزيمة حرب فلسطين سنة 1948 جعلت أصواتا تنادي بضرورة الابتعاد عن الجامعة العربية[44]، فقد أدت هزيمة العرب إلى إحداث نوع من النفور

اتجاه العرب وإلى المناداة بفك الارتباط عن العالم العربي[45]، وانعكس ذلك على مطالبهم حسب ما يشير إليه التقرير، فذكروا أن الدكتاتوريين العرب الذين يحكمون الحزب هم مثل الدكتاتوريين العرب الذين باعوا أنفسهم في الدول العربية والمشرق العربي، كما أشار التقرير أيضا أن العناصر القبائلية انتفضت ضد المركزية المتسلطة والمستبدة والدكتاتورية التي تسود أوساط الحزب[46].

لتجسيد هذه الأفكار أعد مسؤولو القبائل مشروع وثيقة طرحت فيها مسألة تسيير حزب الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية وإدراج البعد البربري في المهام المنوطة بالجزائر المستقلة، وقام محند علي يحي بصفته مسؤولا لفيدرالية فرنسا للحركة من أجل الحريات الديمقراطية بتحرير وثيقة تتعلق بتنظيم الحزب بفرنسا، سلمت تلك الوثيقة بالخطأ إلى حسين لحول في مقر الحزب بباريس وعند قراءتها ساد اعتقاد في قيادة الحزب بأن تلك الوثيقة صادرة عن تنظيم مواز مما تسبب في اندلاع الأزمة[47].

ذهب التقرير إلى أن الحركة البربرية بدأت في باريس ثم انتشرت في كل من فرنسا ثم وصلت إلى الجزائر، وفي وثيقة استخباراتية أخرى أشارت أن الحركة البربرية انتقلت من باريس إلى مدينة لوهافر Le havre شرق فرنسا، وحاليا أشارت الوثيقة أن أنصار الحركة البربرية حاولوا استمالة قبائل الجزائر غلى قضيتهم من خلال دعاية نشيطة بالمناشير[48].

كان رد فعل قيادة حزب الشعب الجزائري –حركة انتصار الحريات الديمقراطية- حسب ما جاء في التقرير قويا وسريعا، ولتجنب كل نقد أو اتهام بالعنصرية قررت القيادة محاربة القبائل بالقبائل المتمثلين في النقيب سعيد صدوق وراجف بلقاسم وشوقي مصطفاي[49]، أشار التقرير أن مهمتهم كانت تصفية المنشقين[50]، فوصف التقرير الهجوم بالمضاد

والسريع والعنيف، فوقعت مشادات عنيفة كانت أشبه بعمليات الكومندوس[51]، وتم حل مكتب فيدرالية فرنسا وتعويضه بعناصر ذات ثقة[52].

يواصل التقرير الخوض في نتائج هذا الهجوم الذي أدى إلى القضاء على الأزمة واتخاذ إجراءات حاسمة تمثلت في:

- حل اللجنة الفيدرالية وتعويضها بلجنة يرأسها راجف بلقاسم.
- طرد المعارضين الذين وصفوا بالبربريين.
- توقيف جريدة النجمة[53] الجزائرية وكانت هذه الجريدة لسان حال حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية.
- تكثيف الدعاية لاسترجاع المناضلين والفروع والأقسام، ومحاربة المعارضة[54]، وقد تم إعلان هذه القرارات في شهر جويلية[55].

5- نتائجها:

5-1- على الجزائريين:

كان تأثير الأزمة البربرية على المستوى الشعبي في الجزائر محدود إلا على قادة الحزب والأوساط الطلابية[56]، أما على مستوى القاعدة الحزبية، فلم تجد أفكار دعاة البربرية أرضية خصبة عند الجماهير، إذ لم تنظم من مجموع اثنتي عشر قسمة لحزب الشعب إلا قسمة عين الحمام معقل ولد حمودة[57].

أما في فرنسا فقد كان لها تأثير كبير على المهاجرين[58]، فعلى المستوى الحزبي، عانى حزب الشعب الجزائري -حركة انتصار الحريات الديمقراطية- من هذه الأزمة التي كادت تقضي على وحدته ووحدة صفوفه، أشار التقرير أن حركة انتصار الحريات الديمقراطية وجدت نفسها محرومة من أكثر عناصرها راديكالية من الراغبين في العمل المباشر ضد الاستعمار الفرنسي[59]، فتم إبعاد عمار ولد حمودة وسعيد أبوزار

وعمر أوصديق وبناي واعلي، كما تم اتخاذ قرار حل المنظمة الخاصة في القبائل، وتم تعيين في شهر سبتمبر أحمد بن بلة مكان آيت أحمد على رأس المنظمة الخاصة[60]، كما فقدت فيدرالية حزب الشعب الجزائري استقلالها الذاتي وأصبح قادتها يعينون بدل انتخابهم[61].

كما أشار التقرير إلى تواصل عملية التطهير التي شملت عدد كبير من المناضلين القدماء منهم: جمال دردور واليامين دباغين الذي أقصي في ديسمبر 1949[62].

وفي هذا الصدد سجل التقرير أن مغادرة دباغين الحزب أدى إلى انسحاب كل أنصاره الذين انتخبوه على عمالة قسنطينة، كما أشار التقرير إلى مكانة دباغين وتمتعه بتأثير كبير في الشرق الجزائري وأنه بقي يحتفظ بتعاطف القادة والمناضلين الذين عرفهم خلال فترة تأدية مهامه في فترة السرية[63].

وعلى العموم أدى هذا التطهير إلى تصفية كوادر ذات قيمة وترقية أخرى رديئة[64].

ذكر التقرير أيضا أن هؤلاء المقصيين شكّلوا بدورهم لجنة معارضة ضد حزب الشعب الجزائري لمقاومة الأساليب الدكتاتورية لـ2 ساحة شارتر[65] 2 places chartre (مقر الحزب).

وتؤكد وثيقة استخباراتية أخرى مؤرخة في 18 جانفي 1950 أن قادة لجنة المعارضة أنشأوا هيئتين مؤقتتين هي: مكتسب سياسي ولجنة تنفيذية، وأن هناك اتصالات مع عناصر بربرية في الجزائر ومع شخصيات كالمين دباغين، وأن تلك العناصر نفسها ترغب في إنشاء حزب جديد تحت تسمية حزب الشعب الجزائري Neo PPA مثل الدستور الجديد في تونس Neo Destour، من جهة أخرى أثارت الوثيقة أنه تم الاتصال بلمين دباغين ووعدهم بالتفكير وأنه سيعطي إجابته سريعا[66].

5-2- على الفرنسيين:

لا تشير الوثيقة إلى نتائج هذه الأزمة على الفرنسيين، غير أن هذه الأزمة قد خدمت مصالح الاستعمار الفرنسي، لما خلفته من انشقاق في الحركة الوطنية وإبعاد عناصر نشيطة عن مسار المقاومة[67]، كما عمت الفرحة قلوب الشيوعيين لوضعية حزب الشعب الجزائري -حركة انتصار الحريات الديمقراطية- الذي أصبح على حافة الانهيار[68] وكذلك استفاد من خلال التحاق كوادر حزب الشعب بالحزب الشيوعي[69].

يتوقف التقرير عن الحديث عن نتائج هذه الأزمة، ويذهب للتكلم عن رصد تحركات متعددة للصلح بين مختلف الأطراف فتطرق إلى قيام مبعوثي مصالي الحاج باتصالات مع أولئك القياديين، كما سجل التقرير ملاحظة نشاط كبير لقادة الحركة البربرية لتجميع عناصرهم[70].

يصل كاتب التقرير إلى استنتاج هو توفر الظروف الملائمة لعودتهم إلى الحركة الوطنية وأخذ المكان الذي يعتبرونه حقا لهم، كما يشير التقرير إلى أن اثنين من أخطر قادة الحركة البربرية وهما ولد حمودة وأوصديق قد كثفا جهودهما للشرح لأنصارهما وأصدقائهما أنه حان الوقت لاستعادة زمام الأمور، ومضمون كلامهما حسب التقرير يتمثل في "أن العمل المسلح والمباشر ضروري لوحدة الحركة الوطنية الجزائرية"[71].

لذلك أشار التقرير إلى أن هاته العناصر باتت مقتنعة بأن العمل العسكري يتعدى إطار أي حزب جزائري مهما كان حجمه وصارت تستشهد بحزب الاستقلال في المغرب وبالحزب الدستوري في تونس اللذين لم يعودا متحكمين في العمل المسلح[72].

إذا فقد بات أولئك المناضلون الذين طالبوا بالديمقراطية وبالثورة المسلحة وانضموا إلى أحزاب أخرى مثل الحزب الشيوعي متيقنين أنهم لم تحقق لهمك تلك الأحزاب ما يطالبون به ولم يجدوا فيها ما يتطلعون إليه

كذلك، كما أشار التقرير إلى نقطة هامة وهي أن عناصر من القادة البربريين القدماء مثل لمين دباغين وولد حمودة وأوصديق لهم اتصال مباشر مع القاهرة[73].

وفي الختام عرض التقرير مخططاتهم على مستوى المعلومات التي تصلهم من القاهرة وأوجزها في :

- سوف يكون العمل العسكري المرحلة الأولى من الكفاح.

- يتبع العمل العسكري مرحلة ثانية تتضمن مشاركة الجماهير التي تكون مؤطرة بالدعاية أو مدفوعة بسبب الخوف من انتقام العناصر النشطة[74].

إضافة إلى ذلك سجل التقرير ملاحظة في غاية الأهمية وهي أنه في الفترة الحالية (أي قبل اندلاع الثورة التحريرية بشهور) يتم استدعاء البربريين وهناك محاولات لتجميعهم ليتم قبولهم من قبل القادة الوطنيين، وكلهم من أنصار العمل المسلح، ينتظرون استدعاءهم للعب دور ما في المستقبل[75].

خاتمة:

من خلال معالجتنا للأزمة البربرية توصلنا إلى النتائج التالية:

- كان المستعمر الفرنسي هو منتج هذه النزعة ومغذيها، من القرن التاسع عشر إلى القرن العشرين مع حرصه على إذكائها بوسائل وأساليب متعددة، فانعكس تأثير ذلك بعد الحرب العالمية الثانية على الحركة الوطنية عامة وحزب الشعب –حركة انتصار الحريات الديمقراطية- خاصة، لتنفجر سنة 1949 في باريس، ولكن جذورها كانت في القرن التاسع عشر بالجزائر.

- بدت الجهات الاستعمارية الفرنسية مهتمة بتتبع ما أطلق عليه الأزمة البربرية منذ انفجارها سنة 1949 ليس في هذا التقرير فقط بل في كل التقارير التي تناولت هذه الأزمة مما تمكنا من الإطلاع عليه.

- تكمن خصوصية وأهمية هذا التقرير في أنه تلخيص وحوصلة لمجموعة من التقارير الاستخباراتية من 1949 حتى 1954، تناولت أسباب ومظاهر ونتائج الأزمة البربرية وآفاق ما كان بعدها.
- يعكس هذا التقرير وجهة النظر الرسمية الفرنسية في اعتبار هذه الأزمة عاملا في تصدع الحركة الوطنية، خاصة الجناح الاستقلالي منها.
- من النقاط المهمة التي جاءت في التقرير، تطرقه إلى الصراع المرير الذي حدث بين مناضلي حزب الشعب -حركة انتصار الحريات الديمقراطية- صراع كان يبدو في ظاهره على الهوية لكنه كان في جوهره صراع برامج وتوجهات واختلاف حول مسارات سياسية كان يتوجب على حزب الشعب -حركة انتصار الحريات الديمقراطية- الأخذ بها.
- من النقاط المهمة الأخر التي تضمنها التقرير، تطرقه إلى تمكن الوطنيين الجزائريين من تجاوز خلافاتهم، وذلك بالاتجاه نحو الصلح وتوحيد جهودهم من أجل هدف واحد وهو محاربة الاستعمار الفرنسي.
- بدا التقرير في الأخير وكأنه استشراف لما بعد الأزمة، وتحذير من مخطط مستقبلي يتم تحضيره من الخارج وتحديدا من مصر، وهذا ما أكدته جهود الوفد الخارجي الذي كان منذ ربيع 1954 يشيد بمقاومة التونسيين والمغاربة ضد الاستعمار الفرنسي.
- عكس هذا التقرير دور الوفد الخارجي الذي كانت مشاركته مباشرة في اندلاع الثورة التحريرية، فهو الذي نشر إعلان أول نوفمبر والعمليات التي انطلقت منن 31 أكتوبر 1954 إلى 1 نوفمبر من السنة نفسها، وعلى إثرها تم اعتماد نظرية اليد الأجنبية في هذا المسار الثوري المسلح.
- أشار هذا التقرير إلى اتصالات مكثفة قبل الثورة بأشهر بين الوطنيين الجزائريين ومصر، أنه من الواضح أن الأجهزة الاستخبارية الفرنسية كانت تمتلك معلومات عن استعدادات معينة لأعمال عسكرية ضد فرنسا في

الجزائر، لكن لم يكن لديها ما يؤكد لها على وجود مخطط واضح ودقيق على ذلك الأمر، لذلك كان مفاجئا لها اندلاع ثورة 1 نوفمبر 1954.

في الختام يجب الإلحاح على أهمية أن توجه جهود الباحثين في التاريخ إلى نفض الغبار عن هذه المرحلة الهامة بدراسة الوثائق الأرشيفية لأهميتها الكبيرة في الإحاطة بكل الجوانب المتعلقة باندلاع الثورة التحريرية، وفي التعرف على دور كل طرف فيها.

الهوامش:

1- إدريس فاضلي: حزب جبهة التحرير الوطني: عنوان ثورة ودليل دولة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2004، ص56.

2- دوفيفي فرانسياد فلوريس: جنرال فرنسي، كان بالجزائر من سنة 1830 إلى 1841، شارك في معارك بليدة 1837 والمدية، شارك في إخماد ثورة 1840، وتوفي جراء إصابته في هذه الثورة في جوان 1848. أنظر: Michel Mourre : Dictionnaire encyclopédique d'histoire, nouvelle édition, D.F. Bardas, imprimerie Berger- V- Lecrault, Nancy, 1989, p1493.

3- دوماس: من الضباط الإداريين في الجيش الفرنسي أو ما يسمى بضباط المكاتب العربية، وكان رئيسا لها عند إعادة تأسيسها في 1841.

Voir : Hugomnet Ferdinand : Souvenirs d'un chef de bureau arabe, Paris, 1858, p181.

4- شارل روبير أجيرون: تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير 1954، المجلد الثاني، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ص ص217-218.

5- Pyvonnet. R : Livre d'or des officiers des affaires indigènes (1830-1930), T1. Imprimerie algérienne, Alger, 1930, p57.

6-Malakay. J M : The colonial encounter in FrenchAlgeria : A study of the development of power a symenetry and symbolic violence in the city of Constantine, presented to the faculty of the graduateschool of the university of Texas, Austin in partial fulfillment of the requirement of the degree of doctor of philosophy, August 1980, p34.

7- محمد بشير مغلي: مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط1، الرياض، 2002، ص260.

8- المرجع نفسه، ص257.

9- وجيه كوتراني: الذاكرة والتاريخ في القرن العشرين الطويل: دراسات في البحث التاريخي، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 2000، ص ص32-33.

10- شارل روبير أجيرون: المرجع السابق، ص ص219-220.

11- رابح لونيسي: التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق والاختلاف (1920-1950)، ط2، دار كوكب العلوم، الجزائر، 2012، ص123.

12- شارل روبير أجيرون: المرجع السابق، ص ص222-223.

13- Benkada Sadek : Le Maghreb dans les débats anthropologiques : revue maghrébine de livre (Casablanca), n°32, hiver 2005, in Insanyate revue algérienne d'anthropologie et de science sociale, la socio-anthropologie en devenir, 9ème année, n°27, janvier-mars 2005, p127.

14- Ageron, Charles Robert : Histoire de l'Algérie contemporaine, que sai je, presse universitaire de France, Paris, 1964, p66.

15- Simon Jacques : Le MTLD (Mouvement pour le Triomphe des Libertés Démocratique) 1947-1954, l'harmattan, Alger, 2003, p50.

16- يوسف بن خدة: جذور أول نوفمبر، ترجمة مسعود حاج، ط، دار الشاطبية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص235.

17- المصدر نفسه، ص238.

18- Simon Jacques : Op.cit, p51.

19- محمد حربي: الجزائر 1954-1962 جبهة التحرير الوطني: الأسطورة والواقع، ترجمة فيصل داغر، ط1، مؤسسة الأبحاث العربية، دار الكلمة للنشر، بيروت، لبنان، 1963، ص62.

20- Simon Jacques : Op.cit, p51.

21- Ibid, p50.

22- Note de renseignement : Objet a, s. Berbérisme, PRG Alger, n°4301, Archives CAOM, GGA40, G73, dossier PPA berbérisme, p1.

23- Idem.

24- Simon Jacques : Op.cit, p51.

25- Roger, Jean Jacques : L'émigration en France des musulmans d'Algérie (principaux aspects démographique, économique et sociaux), rapport établi par Jean Jacques docteur de l'université d'Alger chargé d'études à la direction du travail et de la sécurité sociale du gouvernement général d'Algérie à la demande du haut comité consultatif de la population et de la famille, CAOM, AIX en Provence, 12 cab 209-210/ CAOM 2018, pp15-16.

26- Gilette Alain et Aith Messaoud Malek : L'émigration Algérienne en France, édition enteiul, Paris, 1976, p40.

27- Simon Jacques : Op.cit, p51.

28-عمر بوداود: خمس سنوات على رأس فيدرالية فرنسا (1957-1962): من حزب الشعب الجزائري إلى جبهة التحرير الوطني، مذكرات مناضل، دار القصبة للنشر، الجزائر، ص34.

29-المصدر نفسه، ص36.

30-المصدر نفسه، ص38.

31- محمد حربي: المصدر السابق، ص63.

32-Simon Jacques : Op.cit, p51.

33- بن يوسف بن خدة: المصدر السابق، ص ص240-241.

34 - Ait Ahmed Hocine : Mémoires d'un combattant : l'esprit de l'indépendance 1942-1952, Barzakn, Alger, 2009, p178.

35- Idem.

36- إبراهيم لونيسي: أزمة حزب الشعب الجزائري: خلفياتها وأبعادها، مجلة المصادر، مجلة فصلية تعنى بشؤون الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، العدد 2، 1999، ص99.

37-حميد عبد القادر: الدكتور لمين دباغين: المثقف والثورة، دار المعرفة، الجزائر، 2011، ص ص85-86.

38- محمد العربي الزبيري: تاريخ الجزائر المعاصر، ج1، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999، ص165.

39-شارل روبير أجيرون: المرجع السابق، ص935.

40- Note de renseignement : Conflit de tendances au sein du MTLD, PPA du 06/09/1949, Ministère de l'intérieur, service de l'Algérie et les départements d'outre-mer, CAOM, GGA, 40G/73 (dossier PPA Berbérisme), Archives, AOM, Aix en Provence, p1.

41- محمد حربي: المرجع السابق، ص64.

42- حميد عبد القادر: المرجع السابق، ص98.

43- محمد حربي: المرجع السابق، ص65.

44-إبراهيم لونيسي: المرجع السابق، ص102.

45- بن يوسف بن خدة: المصدر السابق، ص240.

46- Note de renseignement : Objet berbérisme, PRG, Alger, n°4301, Op.cit, p1.

- عمر بوداود: المصدر السابق، ص ص59-60.47

48- Note de renseignement : Objet: a/s berbérisme, PRG, Alger, n°4301, Opc.it, pp1-2.

49- Idem.

50-Ibid, p2.

51- Idem.

52-Idem.

53-كانت جريدة النجمة الجزائرية لسان حال حركة انتصار الحريات الديمقراطية وصل سحبها إلى 5000 نسخة يوميا واهتمت بالإضافة بالدفاع عن استقلال الجزائر إلى مقالات حول الهند الصينية ومصر وإفريقيا السوداء والمشكل الملغاشي، وتوقفت الجريدة عن الصدور واختفت بسبب الأزمة البربرية. أنظر:

Stora Benjamin : Les immigrées Algériennes en France : une histoire politique 1912-1962, Fayad, Paris, pp101-102.

54- Note de renseignement : Objet: a/s berbérisme, PRG, Alger, n°4301, Op.cit, p2.

55- Stora Benjamin : Les immigrées…, Op.cit, p109.

56-محمد حربي: المصدر السابق، ص65.

57- بن يوسف بن خدة: المصدر السابق، ص242.

58-محمد حربي: المصدر السابق، ص65.

59- Note de renseignement : Objet: a/s berbérisme, PRG, Alger, n°4301, Op.cit, p3.

60- Stora Benjamin : Les immigrées…, Op.cit, p109.

61- محمد حربي: المصدر السابق، ص66.

62- شارل روبير أجيرون: المرجع السابق، ص936.

63- Note de renseignement : Objet: a/s berbérisme, PRG, Alger, n°4301, Op.cit, p2.

64- محمد حربي: المصدر السابق، ص67.

65- Note de renseignement : Objet: a/s berbérisme, PRG, Alger, n°4301, Op.cit, p2.

66- Note de renseignement : Objet opposition du PPA, PRG, n°336, 6GA, 40G, 73, archives, AOM, Aix en Provence, pp1-2.

67- بن يوسف بن خدة: المصدر السابق، 243.

68- المصدر نفسه، ص243.

69-عمر بوداود: المصدر نفسه، ص61.

70- Note de renseignement : Objet: a/s berbérisme, PRG, Alger, n°4301, Op.cit, p4.

71- Idem.

72- Idem.

73- Ibid, p5.

74- Idem.

75- Idem.